

تفسير البحر المحيط

@ 437 @ والصالح الولد السوي جعل له شركاء حيث سميا أولادهما الأربعة عبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك انتهى . { لَيْدَسْكُنَ إِيَّاهَا } ليطمئن ويميل ولا ينفر لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس وإذا كان منها على حقيقته فالسكون والمحبة أبلغ كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه أو أكثر لكونه بعضاً منه وأنت في قوله منها ذهاباً إلى لفظ النفس ثم ذكر في قوله ليسكن حملاً على معنى النفس ليبين أن المراد بها الذكر آدم أو غيره على اختلاف التأويلات وكان الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها فكان التذكير أحسن طباقاً للمعنى . .

{ فَلَمَّسَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَاتٌ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ } إن كان الخبر عن آدم فخلق حواء كان في الجنة وأما التغشّي والحمل فكانا في الأرض والتغشي والغشيان والإتيان كناية عن الجماع ومعنى الخفة أنها لم تلق به من الكرب ما يعرض لبعض الحبالى ويحتمل أن يكون حملاً مصدراً وأن يكون ما في البطن والحمل بفتح الحاء ما كان في بطن أو على رأس الشجرة وبالكسر ما كان على ظهر أو على رأس غير شجرة ، وحكى يعقوب في حمل النخل ، وحكى أبو سعيد في حمل المرأة حمل وحمل ، وقال ابن عطية : الحمل الخفيف هو المني الذي تحمله المرأة في فرجها ، وقرأ حماد بن سلمة عن ابن كثير حملاً بكسر الحاء ، وقرأ الجمهور فمرت به ، قال الحسن : أي استمرت به ، وقيل : هذا على القلب أي فمر بها أي استمر بها ، وقال الزمخشري : فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخراج ولا إزلاق ، وقيل : حملت حملاً خفيفاً يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت فاستمرت به انتهى ، وقرأ ابن عباس فيما ذكر النقاش وأبو العالية ويحيى بن يعمر وأيوب فمرت به خفيفة الرائ من المرية أي فشكت فيما أصابها أهو حمل أو مرض ، وقيل معناه استمرت به لكنهم كرهوا التضعيف فخففوه نحو وقرن فيمن فتح من القرار ، وقرأ عبد الله بن عمرو بن العاصي والجحدري : فمات به بألف وتخفيف الرائ أي جاءت وذهبت وتصرفت به كما تقول مارت الريح موراً ووزنه فعل ، وقال الزمخشري : من المرية كقوله تعالى { أَفَتَدْمَارُونَهُ } ومعناه ومعنى المخفة فمرت وقع في نفسها طن الحمل وارتابت به ووزنه فاعل ، وقرأ عبد الله فاستمرت بحملها ، وقرأ سعد بن أبي وقاص وابن عباس أيضاً والضحاك فاستمرت به ، وقرأ أبي بن كعب والجرمي فاستمات به والظاهر رجوعه إلى المرية بني منها استفعل كما بنى منها فاعل في قولك ماريت . .

{ فَلَمَّ تَغَشَّاهَا حَمَلَاتٌ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّ أَثْقَلَتِ دَعَاؤَ اللَّهَ } . أي دخلت في الثقل كما تقول أصبح وأمسى أو صارت ذات ثقل كما تقول أتمر الرجل وألبن إذا صار ذا تمر ولبن ، وقال الزمخشري : أي حان وقت ثقلها كقوله أقربت ، وقرء أثقلت على البناء للمفعول ربهما أي مالك أمرهما الذي هو الحقيق أن يدعى ومتعلق الدعاء محذوف يدل عليه جملة جواب القسم أي دعوا ۞ ورغبا إليه في أن يؤتيهما صالحا ثم أقسما على أنهما يكونان من الشاكرين إن آتاهاما صالحا لأن إيتاء الصالح نعمة من ۞ على والديه كما جاء في الحديث : (إن عمل ابن آدم ينقطع إلا من ثلاث) فذكر الولد الصالح يدعو لوالده فينبغي الشكر عليها إذ هي من أجل النعم ومعنى صالحا مطيعا ۞ تعالى أي ولداً طائعاً أو ولداً ذكراً لأن الذكورة من الصلاح والجودة ، قال الحسن : سمياه غلاماً ، وقال ابن عباس : بشراً سوياً سليماً ، ولنكونن جواب قسم محذوف تقديره وأقسما لنن آتيتنا أو مقسمين لنن آتيتنا وانتصاب صالحاً على أنه مفعول ثان لآتيتنا وفي المشكل لمكي أنه نعت لمصدر أي ابناً صالحاً . .

{ فَأَمَّ * فَلَمَّ آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا } من جعل الآية في آدم وحواء جعل الضمائر والإخبار لهما وذكروا في ذلك محاورات جرت بين إبليس وآدم وحواء لم تثبت في قرآن ولا